المرأة، الوعي، الثورة
"أطفال العالم الجديد" لأسيا جبار

سامية داودي
جامعة تيزي وزو

فرضت المرأة الجزائرية نفسها على الساحة الأدبية وعرّفت بوضعها وعتبرت عن العديد من قضاياها باللغة الفرنسية أوّلا، وطرحت مواضيع عديدة يأتي في مقدمتها المرأة، التعليم، الهوية، التقاليد، الثورة.... ومن بين الكاتبات اللواتي صغن مسألتهن ومسألة وطنهن جميلة دباش، طاوس عمروش، آسيا جبار، حفصة زناي كوديل، يمينة مشاكرة وغيرهنّ.

وإذا تجاوزنا الاختلاف الدائر حول أسبقية طاوس عمروش أو جميلة دباش في كتابة الرواية النسائية الأولى في الجزائر فإنّ مرحلة التأسيس (البواكير) تعود إلى النصف الأول من القرن العشرين(*)، حيث عرفت الجزائر المستعمرة أسماء بارزة يعود إليها الفضل في إرساء أسس السرد النسائي الجزائري وهي إليسا رايس وطاوس عمروش وجميلة دباش[1].

لقد حملت الكتابة الروائية النسائية على عاتقها عبء التعبير عن ذات المرأة بوصفها كائنا مستقلا له رؤيته وتصوّره وقراءته للعالم، مستثمرة مجمل ما توصلت إليه الشعرية الحديثة من أدوات لغوية وأسلوبية لتشكيل فضاء لغوي متميز، ومنه أصبحت الرواية دليلا من أدلة التحوّل التّاريخي باعتبارها مظهرا من مظاهر تعبير المرأة عن وجودها وحقوقها وتطلعاتها الاجتماعية، ولا يمكن فصلها عن جدلية المجرى السوسيو ثقافي العام في الجزائر. وما يشدّ الانتباه من خلال تتبع مسار السرد النسائي الجزائري هو تحقق تراكم يؤشر على ارتفاع

وتيرة النشر للكاتبات الجزائريات وتنوع تضاريس كتاباتهن وتيماتها وأجناسها، ويمكن الحديث الآن عن إبداع نسائي بملامح وهوية وحضور.

دخلت **آسيا جبار** معترك الكتابة باكرا حيث صدرت أوّل رواية لها بالفرنسية "**العطش**"(**) عام 1957 ولم تتجاوز العشرين. ألفتها في غصون الاضرابات الطلابية في الجامعات الفرنسية احتجاجا على الاستعمار الفرنسي إلاّ أنّها لم تشر إلى وضع الجزائر مما عرضها هي روايتها إلى نقد شديد من قبل القوى الثورية والتجمعات السياسية الجزائرية. تستخدم آسيا جبار اللغة الفرنسية وتتناول من خلالها علاقاتها بتاريخها وهويتها وخصوصيتها ومجتمعها وغيرها من الأسئلة الشائكة، وتخصص الكاتبة أكثر من عمل روائي للحديث عن هموم المرأة الجزائرية وانشغالاتها، لقد وجدت في النص السردي فضاءً رحبا للتعبير عن ذاتها والعالم من حولها(***)، ويلاحظ الباحثون تنوع الحقول التي ارتادتها في كتاباتها الروائية ما بين التاريخ والسيرة الذاتية وأشكال الصراع والعالم الداخلي للمرأة.

سنتناول في دراستنا هذه موضوع المرأة والوعي والثورة في "**أطفال العالم الجديد**" 1962 التي يتشكل عالم شخوصها من نماذج نسائية مختلفة تواجه الحقيقة القاسية.

1- عالم الرواية: بعدما كانت آسيا جبار منشغلة بالمشكلة الجنسية والمشاعر العاطفية وحدها في رواية "**العطش**" تحوّلت إلى إبراز التزامها السياسي في نصها الثالث "**أطفال العالم الجديد**" وقد «***قدمت سلسلة من البطلات الايجابيات مثل سليمة التي عذبها البوليس وآمنة زوجة شرطي خائن ولكّنها تخدم القضية الوطنية***»(2).

ونحس بتغيّر ملحوظ في موقف الكاتبة إزاء الوضع في الجزائر، حيث تقع الأحداث في قلب المعركة في زمن الاحتلال الفرنسي للجزائر وتحديدا لحظة الثورة على الاستعمار.

تدور أحداث الرواية عموما سنة 1956 وقد وردت إشارة صريحة في الرواية عندما سألت سليمة السجان عن تاريخ اليوم لتعرف كم مضى عليها في زنزانتها المظلمة، فأجابها خفية على ورقة كتب عليها «***24 ماي 1956***»[3]، ونجد إشارات أخرى إلى السنة، الأولى عندما قرر علي ترك الدراسة الجامعية والالتحاق بالمناضلين في الجبل، وقد مضى على بداية الحرب ثمانية عشر شهرا، وهو يتوافق وتاريخ نداء جبهة التحرير للطلبة الجزائريين في 19 ماي 1956[4]، والثانية عندما تعرّف يوسف على المحامي خالد الذي قد دافع عنه منذ ما يزيد عن عشر سنوات حينما قبض عليه في مظاهرات 8 ماي 1945[5].

ومن خلال المجال المعجمي أو القاموس الخطابي –حسب مصطلح قريماس- لرواية "**أطفال العالم الجديد**" يمكننا حصر التيمات المركزية في المرأة والثورة والتقاليد والاستعمار.

تتكون هذه الرواية من تسعة فصول: شريفة، ليلة، سليمة، تومة، حكيم، حسيبة، خالد، بوب، علي، وهذه العناوين –الأسماء- توحي أنّ الكاتبة تريد التركيز على جانب معيّن وتوجيه سلوك القراءة عند المتلقي إلى دور المرأة الجزائرية في فترة حرب التحرير إذ تروي قصص نساء يطالبن بحقوقهن ويشاركن، كل واحدة بطريقتها الخاصة، في حرب التحرير. ولعّل هذه العناوين –الأسماء- تكشف أيضا عن سمة التعدد والتنوع لأنّ الاشتغال النصي للجهاز العنواني الداخلي تكشفه مقصدية الذات الكاتبة ورهاناتها الجمالية، وهي مقصدية تنعقد على هامش التقطيع والتشتيت للبنية النصية وتفكيك وحدتها وكسر منطق الاسترسال الحكائي وانتظامه الخطي، وهذا التعدد في مستوى

العناوين الداخلية ليس إلاّ تصريف لصيغة الجمع في العنونا "أطفال" غير أنّ هذا التعدد وما يستتبعه من تجزيء وتفتيت لا يعني الفوضى وإنما ينتظمه منطق العمل الروائي الذي يرصد الوحدة في الكثرة.

تضم رواية "**أطفال العالم الجديد**" بين دفتيها خمس وعشرين (25) شخصية تقريبا، وعشر (10) منها نسائية وهو ما يعادل 40٪، موّزعة على تسعة فصول، خمسة منها تحمل أسماء مؤنثة (شريفة، ليلة، سليمة، تومة، حسيبة).وتعكس تشكيلاتها صورة المجتمع الجزائري بتناقضاته وتفاعلاته ومعاناته واختلاف فئاته (نساء، رجال، شباب) وتعدد مواقعه الاجتماعية (المثقف، الأمي، المناضل، الأم نموذج المرأة النمطية، الفتاة البورجوازية...).

وظفت الكاتبة «***شخصيات تنتمي إلى الجيل الجديد، وتعي واقعها جيّدا، وتعمل من أجل مستقبل أفضل***»[6]، وقد حرصت –يضيف أحمد منور- على تقديم نماذج عديدة، بلغت سبعا كلّها نساء في سنّ الشباب، حيث تتراوح أعمارهنّ ما بين السادسة عشر (حسيبة) والتاسعة والعشرين (شريفة)»[7]، ولكنّهن يختلفن من حيث المستوى الثقافي والاجتماعي، فمنهنّ المتعلمة مثل ليلى وسليمة وسوزان ومنهنّ المتوسطة الثقافة مثل حسيبة وتومة ومنهنّ الأميّة مثل شريفة وآمنة.

تنتقل الكاتبة بروايتها إلى ساحة الحرب أين تتحرك نساء كثيرات:

- سليمة التي تزجّ في السجن نتيجة نشاطها الثوري.
- آمنة التي تكتم سر انخراط يوسف في صفوف الثورة عن زوجها حكيم شرطي في الأمن الفرنسي.
- حسيبة الفتاة التي التحقت بالثورة وهي في السن السادسة عشر.
- سوزان المرأة الفرنسية التي رفضت الرحيل مع زوجها إلى فرنسا وآثرت البقاء في الجزائر مع ابنتها الصغيرة.

- تومة العميلة مع الأمن الفرنسي التي خانت القضية الوطنية.
- ليلى الزوجة الشابة التي تحاول أن تثني زوجها عن الصعود إلى الجبل.

نلاحظ أنّ سياق حياة الشخوص في "**أطفال العالم الجديد**" يكبر ليحتوي حرب التحرير ويكشف عن إجماع المجتمع الجزائري حول قضيته ومحو الفرد أمام الجماعة وذوبانه فيها تدريجيا، وهكذا كانت حال سليمة ويوسف وابن سي عبد الرحمان الذي دفعته قوة أكبر من نزعته الذاتية للسير خلف موكب الجنازة مرددا بصوت خافت "إنّهم أهلي"، ويوسف الذي اعتنق ثورة شعبه ويحسّ أنّه "حلقة في سلسلة".

2- شريفة / إثبات الذات في فضاء اللّحظة الثورية: ينفتح النص على شريفة التي تحقق حضورا متواصلا تقريبا على امتداد الحيز النصي، والأمر مقصود –يرى أحمد منور- نظرا للعناية الخاصة التي أولتها الكاتبة لإبراز دور المرأة الجزائرية في الثورة[8]، وتشير كريستيان عاشور إلى أنّ ***«آسيا جبار قامت بعرض نماذج مختلفة من النساء، بدءً من المحافظات إلى المتحررات، وكلّهن مطالبات بإعادة تعريف أنفسهن من خلال الحاجة/الضرورة لأنّ الحرب تلّح عليهن بالخروج من دائرة البيت/الدور التقليدي المحدد»***[9].

يعدّ السّرد النّسائي محاولة لبناء لغة تمثل التّحرر،/ فالمرأة الكاتبة مهجوسة على الدوام بإثبات حق المرأة في الحضور، ولا تكف عن التلويح بمقدرتها على الانفلات من قبضة الرجل. وإنّ الوعي الذي تحمله شريفة تجاه نفسها كامرأة هو الذي جعلها تخوض مواجهة مع زوجها الأوّل، بائع الزيت والمواد الغذائية، خارقة بتصرفها مجموعة من القيّم المتعاقد عليها اجتماعيا ومجموعة من الأعراف المألوفة تاريخيا، وجعلها تعيد التّفكير في هذا الركام المفهومي دون خضوع لمنطقه كما تفعل باقي النّساء على أساس أنّه معطى جاهز

غير مسموح مناقشته. فإذا كان الزواج في المنظور الاجتماعي يعدّ سترة للمرأة التي تظلّ غير محددة في ذاتها المستقلة، وإذا كانت النّساء لا تناقشن هذا المفهوم وإنّما تندمجن فيه خاضعات مثل زينب أخت جارها حكيم التي انتفضت ضد بقائها في البيت بعد السنوات التي قضتها في المدرسة الفرنسية، ورفضت أن تتزوج برجل لا تعرفه، لكنّها في النهاية رضخت لتخطيط أسرتها وتزوجت وسلمت أمرها لله بسرعة[10]، فإنّ شريفة ترفض التحديد المتداول للزواج وتقرر الانفصال عن زوجها لانعدام الانسجام والحب ونفور الذات منه[11]، تقول «***يجب أن أذهب***»[12].

وتتمرد شريفة على تقاليد مجتمعها ثانية حينما خرجت من بيتها وسارت في شوارع المدينة ومرّت أمام المقاهي قاصدة مكان عمل زوجها يوسف «***يجب أن أحذر يوسف من الخطر***»[13]، وهي «***المرأة الأولى التي تخرج من بيتها بمفردها وتقصد وسط المدينة***»[14] فعادة لا تخرج المرأة إلاّ للذهاب إلى الحمام أو إلى العرس والجنازة، وفي هذه الحالات الاستثنائية يرافقها الزوج دائما ويستبقها في المشي. تحس شريفة بالنبض السريع لقلبها وبالحياء وبالخوف، إلاّ أنّ فكرة واحدة كانت تدفع قدميها إلى الأمام دفعا «***يجب أن أعلمه بالأمر قبل فوات الأوان***»[15]، لقد علم البوليس بطبيعة عمله وحقيقة تحركه.

لكنّ شريفة التي رفضت الامتثال لثقافة المجتمع الذكوري وطلبت الطلاق، ثم خرجت بمفردها في شوارع المدينة تتردد في الأخير ولا تجرأ على طلب الذهاب مع زوجها إلى الجبل، وذهب يوسف ولم يفهم رغبتها الشديدة في مصاحبته فالرجال «***غير مستعدين لتصور أنّ رفيقاتهم يمكنهنّ المشاركة في الفعل***»[16].

ويبدأ الوعي بأنّ قضية تحرير الجزائر هي قضية النّساء كذلك، وقد عرفت شريفة الأميّة والماكثة بالبيت، كيف تجد طريقا إلى زوجها/إلى النضال؟

3- سليمة /الإصرار على النضال: سليمة هي فتاة في الثلاثين من عمرها، عصامية ومكافحة في حياتها، تعمل أستاذة في مدرسة فرنسية وتنشط ضمن شبكة التنظيم الثوري داخل المدينة، وقد أوكلت لها مهمة الاتصال، تنبهت الشرطة الفرنسية إلى تحركات سليمة وقبضت عليها في آخر مهمة كانت تقوم بها عند ما قصدت بيت محمود مسؤول التنظيم الفدائي في المدينة لتطمئن زوجته وتعلمها بصعود زوجها إلى الجبل.

لم تركز آسيا جبار على وصف عمليات التعذيب الممارسة على سليمة المرأة تماما مثلما فعلت مع عبد الرحمان وسعيدي، لقد ذكرت بعض وسائل التعذيب بشكل مختصر كمولّد الكهرباء وحوض الماء، «***وألقى سعيدي نظرة على المكان (...) وراح يتأمل ببرود الخيوط، والجرادل ومولد الكهرباء الذي عرفه قبل غيره وحوض ماء متنقل بجانب الجدار***»[17]، وفي المقابل ركزت الكاتبة على «***وصف ظروف الاعتقال القاسية من جهة، وعلى الحالة النفسية للشخصية من جهة أخرى***»[18] كحبس سليمة في زنزانة باردة ومظلمة لا فراش فيها ولا غطاء، وقد أعطيت سريرا بعد أن أنهي استنطاقها وبعد مضي عشرة أيام من تاريخ القبض عليها[19].

كما تمكنت الكاتبة من التسلسل إلى نفسية الشخصية وتنقل مشاعرها وتكشف عن تفاصيل صغيرة في حياتها تعود إلى زمن الطفولة، وهذه اللحظات الاستذكارية تعدّ محاولة للتخلص من الواقع المؤلم عن طريق استرجاع كل ما هو مريح في الحياة السابقة، وبالأخص مرحلة الطفولة، وهي المرحلة

التي يرى علماء النفس أنّ الفرد يلجأ إليها ويحتمي بدفئها حين يجد نفسه في حالة عجز كدفاع عن النفس وحماية الذات من أفعال القهر والاضطهاد(****).

كانت سليمة المسجونة بين الجدران الأربعة تجد بعض الراحة في استعراض ذكريات قديمة و«***على هذا النوع صنعت حولها عالما كانت تعلم أنّه مصطنع، ولكنّه كان يربطها بسنوات دراستها، وبالتعليم والقراءة وبذل الجهد كانت ممددة على السرير، بلا غطاء، ومع ذلك لم تعد تشعر بالبرد، لقد كانت سليمة مستغرقة في هذه اللحظة العذبة المثيرة التي تمكنت من اختلاسها***»[20] وكان جو السجن الانفرادي الذي كانت فيه سليمة، وظلمة الزنزانة والسكون الذي يلّف المكان يساعد على إثارة الخيال واستعادة الذكريات[21]، وراحت سليمة تستعيد تفاصيل اللقاء الأوّل بمحمود واللقاء الأخير، وذهابها لزيارة بيت محمود حاملة معها باقة ورد، والقبض عليها مساء يوم تلك الزيارة، لكنّ شريط هذه الذكريات الطيبة سرعان ما ينقطع بسبب جلسة استنطاق جديدة تعيدها بعنف إلى حاضرها.

4- سوزان/الالتزام فكرة وعمل: سوزان هي صديقة ليلى وزوجة المحامي عمر، امرأة فرنسية لا تتجاوز الرابعة والعشرين وتبدو ناضجة وواعية وواثقة من نفسها إلى حد بعيد، تزوجت من عمر متحدية كلّ الضغوط التي مورست عليها من أهلها لمنع ذلك الزواج[22].

تواجه سوزان قرار زوجها بالرحيل إلى فرنسا بهدوء وتناقش معه قراره بالحكمة والعقل، وتحاول إقناعه بعدم مغادرة البلاد في ذلك الظرف الصعب لأنّ مهمته كمحام تقتضي منه أن يدافع عن المظلومين في السلم وفي الحرب، «***إنّك هنا ستدافع على الأقل عن الآخرين وتساعد الضحايا***»[23]، وأوضحت له أنّ رحيله يعدّ «***نوعا من الهروب***»[24]، والخوف من مواجهة الموقف، أمّا بالنسبة لها

فالقضية محسومة ولا مجال للنقاش والأخذ والرد، «***سأبقى هنا... حتى لو استمر هذا (الحرب) عشر سنوات***»[25].

لم تضعف سوزان ساعة مغادرة عمر للبيت، ولم تستسلم لا للحزن ولا للعزلة، كما فعلت ليلى، وواصلت دفاعها عن المتهمين، وكانت قضيتها الأولى سليمة التي قصدت أمّها بيتها بحثا عن عمر واتصلت بالمحامي خالد، صديق زوجها، ليتولى الدفاع عنها.

لقد حاولت سوزان أن تمنع زوجها من الهجرة إلى فرنسا، وذكرته بواجبه تجاه وطنه وإخوانه ولما أصرّ على الذهاب في وقت عسير قررت هي البقاء في الجزائر، وهنا تظهر فكرة الاستقلالي الذاتي الحقيقي للمرأة التي لم تعد لاحقة بزوجها.

5- ليلى/ وأخيرا تلتحق بطائفتها

تقدم الكاتبة معلومات كثيرة عن نشأة ليلى، هي من أسرة ميسورة الحال، فقدت أمّها وهي في سن مبكرة، وحظيت بعناية خاصة من والدها رشيد الذي شجعها على مواصلة تعليمها رغم معارضة الأهل له في ذلك، وهذه الحماية الكبيرة، يقول أحمد منور، جعلت ليلى قليلة الخبرة بالحياة، تعتمد في كل صغيرة وكبيرة على والدها[26]، وقد واجهت موقف صعود زوجها إلى الجبل بالبكاء والصراخ مرددة عبارة "وأنا وأنا"، وبعدها اعتزلت الناس وظلت تعيش في ذلك الألم الذي ملك نفسها وتدور في حلقة المعاناة.

لم تكتف الكاتبة بإبراز دور المرأة في حرب التحرير ولكنّها تجاوزت ذلك إلى تصوير المعوقات الاجتماعية التّي كانت تعترض طريق المرأة وأهمّها تصوّر الرجل أنّها غير قادرة على القيام بما يستطعه هو (أي الكفاح ضد الاستعمار)، وهذه الأحكام المسبقة التّي يحملها الرجل تفسر موقف علي، طالب الطب، من زوجته ليلى حيث كان يخفي عنها نشاطه الثوري مع أنّها

كانت زميلته في الجامعة بالإضافة إلى كونها زوجته، وعندما عرضت عليها رغبتها في المشاركة في الكفاح «***لقد قمنا بكل شيء معا، لما لا آتي معك، سأفعل معك ما يجب فعله***»[27] صمت علي ولم يجبها. ألأنّ ليلى/المرأة لا يمكن أن ترقى إلى مستوى متقدم فكريا، ألأن ليلى/المرأة لا تقدر على تحمل المشقات أو كتمان السّر؟ وموقفه ذلك يتطابق مع النظرة التقليدية للمرأة ويكرّس المقولات التّاريخية التّي تلتصق بالمرأة (الانفعال الزائد، النظرة الذاتية للأمور، التأثر الشديد، الضعف، النقص...) وتتساءل ليلى مع نفسها «***لعلني كنت حملا عليه***»[28] يحدّ من حريته في الحركة والسير.

لقد عاملها علي معاملة الرجل للمرأة بالمعنى التقليدي إنسان قاصر وضعيف البنية.

ووجدنا ليلى –منذ الصفحات الأولى من الرواية- امرأة متوترة تعاني من القلق الشيء الذي أبعدها عن ممارسة حياتها بشكل طبيعي، فازدادت هويتها تشويشا بعد صعود علي إلى الجبل ولنتساءل الآن: هل يمكن أن ننظر إلى ليلى على أنّها ضحية من ضحايا المثاقفة؟(*****) يرى شارل بون أنّ مأساة ليلى تعود جزئيا فقط إلى المثاقفة[29] وإلاّ فكيف نفسر تباين المواقف واختلاف الرؤى بين علي وليلى وبشير وسوزان وجميعهم التحقوا بالمدرسة الفرنسية، ونحن نعلم أنّ المدرسة الفرنسية في الجزائر كانت قناة لا تقل فاعلية عن باقي قنوات المثاقفة الأخرى نظرا للاهتمام الذي أولاه الاستعمار لمشروع تكوين نخبة مثقافة، وقد سعى منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر إلى تحقيق الأهداف الثلاثة الآتية: عدد كاف من الفرنسيين في الجزائر وأجانب مجنسون وأصليون مثاقفون(******).

عملت المدرسة الفرنسية على إبراز الثقافة الفرنسية كحاملة لقيم عالية تسمح بتحرير الإنسان الذي يفتقد كافة عناصر امتلاك الذات والتصرف فيها- كتبنا- كتب فرحات عباس - «***تقدم فرنسا كرمز للحرية***»[30'] وقد

تتجاوز ذلك لتصبح «الدليل ***والمرشد والمربي للنوع البشري***»[31]، ولا ترى البرامج التعليمية في الجزائر سوى موضوعا اثنوغرافيا لا غير: وصف السوق الشعبية، وصف احتفال ديني... مجرد فلكلور لا يساير العصر، غناء ورقص...

وإذا كانت التربية/المدرسة تعمل على إخضاع الفرد فهي تعمل على تحريره أيضا، ولا يقصي تأثير الاقتصاد والثقافة والبنية الاجتماعية على المدرسة حدوث الوجه الآخر أي تأثير المدرسة على العوامل الأولى والنماذج التّي تؤكد صواب الفكرة كثيرة ونذكر سنة 1968 التّي شهدت معارضة طلابية واسعة تجاوزت حدود التناقضات الداخلية للأنظمة السياسية ووقفت ضد الاقحامات الخارجية (حرب الفيتنام) وتاريخ 19 ماي 1959 الذي سجل مظاهرة الطلبة الجزائريين أو رفض الطالب الجزائري المتعلم في المدرسة الفرنسية للوجود الفرنسي في الجزائر.

لم تجابه ليلى مشكلتها وعاشت في قفص ذكرياتها ولم تفعل شيئا من أجل الدخول في العالم الجديد، وفي ليلة استضافت قريبها بشير الذي التقت به صدفة في الشارع أثناء عودته من مهمة حرق مزرعة فرنسي، وتجد نفسها في اليوم التالي في السجن وأخيرا تخرج من منطقة الظلام وتدخل إلى منطقة التحقق الفعلي، لقد اهتدت إلى طريق الكفاح في السجن.

6- حسيبة/ النساء يزحفن إلى أرض المقاومة: بينما كانت النّساء مسجونات في غرفهن، يتتبعن أحداث الحرب من بيوتهن، أخذت حسيبة، فتاة في السادسة عشر، طريق النضال والتحقت بيوسف وأربعة آخرين، غير مبالية بمشقة الصعود إلى الجبل وثقل العبء، ورفضت أن يحتل الرجال وحدهم للفضاءات المغلقة والفضاءات المفتوحة على حد سواء، وأبت أن تظلّ "شوارع المدينة، الواقع الاستعماري الصعب، التاريخ بعينه، بماضيه وحاضره، كلّها

أمور مجهولة لدى المرأة ولا تعرف عنها شيئا إلاّ ما رغب الرجل في إطلاعها عليه"[27].

تقول حسيبة: "الثورة هي كفاح الوطن كلّه ضد الاستعمار الفرنسي الذي لا يريد الاعتراف بحقنا"[28].

وتواصل بثقة وحزم: "الآن أبلغ السادسة عشر، لقد فكرت طويلا: الثورة للجميع، للعجزة وللشباب، أريد أن أضحي بدمي"[29].

إنّ حسيبة تطالب الحركة الثورية/الرجال بأن تكون مناضلة في ميدان القتال كتجسيد للسؤال الحقيقي حول حق المرأة في الحضور الاجتماعي. وقد أثارت نوال السعداوي في دراستها "الوجه العري للمرأة العربية" موضوع حروب التحرير التّي تسرع بعملية تحرير المرأة" وقد ساهمت حرب التحرير الجزائرية في كسر كثير من قيود المرأة"[30]. وزحزحت ذات المرأة لتمتد نحو الآخرين.

نريد في ختام هذا البحث المتواضع ملامسة جملة النتائج التّي توصلنا إليها وهي كالتالي:

– طرحت آسيا جبار أسئلة حول بعض المفاهيم: الحب، الجنس، المرأة، الرجل، الحرب، وحضرت الذات في بعدها الفردي، وقد أسهبت في عرض نموذج الفتاة البورجوازية بأحاسيسها وتمردها عل التقاليد ❖❖ ثم اهتدائها إلى طريق الثورة.

– إن **أطفال العالم الجديد** تتميز بحضور نوعي لتيمة المسألة النسائية إذ تقدم للمتلقي مجموعة من الصوّر اليومية التي تلامس ملامح الوضع النسائي من خلال العلاقة التي تجمع بين الرجل والمرأة، والمحكومة بنسق اجتماعي يقوم بتوزيع المهام داخل الأسرة اعتمادا على ثقافة تقليدية ترهن المرأة بداخل البيت، المحيط الجغرافي المغلق الذي يحول دون امتداد الرؤية وانفتاح الآفاق.

– وعلى الرغم من تكريس المنجز الروائي بتجارب نساء شاركن في حرب التحرير ونساء عميلات ونساء عذبن من قبل الفرنسيين ونساء ضحايا للعوائق التي تفرض عليهنّ وتقلص حدود تعبيرهن عن ذواتهن فإن"**أطفال العالم الجديد**" ليس كلّه تاريخا نسائيا أو محكيا حول القضية النّسائية، فهو يضم تفاصيل أخرى عن العادات وأحوال المدينة والمستعمر...

– تتحقق الثورة في روايات آسيا جبار على مستويات عديدة: الثورة/الكشف عن الجسد في "**العطش**" و"**القلقون**"، الثورة على التقاليد التي تحكم العلاقة الزوجية في "**القبرات الساذجة**" والثورة بمعنى الكفاح المسلح ضد الاستعمار في "**أطفال العالم الجديد**". وترى الباحثة سعاد محمد خضر أن محاولة آسيا جبار لم تكن ناجحة تماما حيث لم تستطع أن تعطينا نماذج لنساء جزائريات مثل تلك النماذج التّي نجدها في رواية "**صيف إفريقي**" لمحمد ديب، إلاّ أنّ مجتمع "**أطفال العالم الجديد**" يعكس لنا تطورا ملحوظا في موقف الكاتبة تجاه نفسها وتجاه واقع بلادها.[31]

– قدمت كتابات آسيا جبار –عموما- المرأة الجزائرية في حالة حركة وجدل بهدف صياغة موضوعات رؤيوية واجتماعية تسعى إلى زحزحة الصورة التقليدية للمرأة وتصحيح بؤرة النظر إلى منجزها على سواء، ولقد وظفت الوعي الأنثوي من أجل تحسين شرط المرأة الاجتماعي وتغيير مواصفات الرؤية التاريخية.

الهوامش:

*- تدشن طاوس عمروش(1913-1976) سنة 1947 الكتابة النسائية في الجزائر برواية يمتزج فيها الخيال بالسير الذاتي عنوانها: "ياقوتة سوداء Jacinthe noire"، وفي السنة نفسها تصدر جميلة دباش (1910-) نصا موسوما بـــ: "ليلى الفتاة من الجزائر Leila jeune fille d'Algérie" متبوعا بـــ "عزيزة" سنة 1955 Aziza"

1 -Nai Nassira Belloula : De la pensée vers le papier, soixante ans d'écriture féminine algérienne, éd.ENAG, Alger, 2009, p13.

**- وقد قورنت رواية "العطشla soif " لآسيا جبار برواية "مرحبا أيها الحزن Bonjour tristesse" لقرنسواز ساغان (1935-2004) يقول عبد الكبير الخطيبي بخصوص الرواية: "بالفعل فإننا لا نفهم لماذا تموت شخصيات العطش تحت تأثير الحب والرغبة، وأحداث الرواية غارقة في ضباب من المشاعر الغامضة..." عبد الكبير الخطيبي: في الكتابة والتجربة، منشورات الجمل، ط1، بغداد، بيروت، 2009، ترجمة محمد برادة، ص72. ويرى بعض المناضلين الجزائريين أنّه من غير اللائق أن تهتم آسيا جبار بالمشكلة الجنسية وحدها بينما كانت الجزائر فريسة لحرب ضروس، وتضيف كريستيان عاشور"إن رواية العطش غير منسجمة مع الأوضاع، ومهتمة بالقلق النفسي"

Christiane Achour : Anthologie de littérature algérienne de langue française, éd. ENAG-Bordas, Paris, 1990, p235.

ويتساءل عبد الكبير الخطيبي: «فهل هناك من فهم حقا بأن اكتشاف الجسد بالنسبة لبطلة "العطش" هو في نفس الوقت ثورة مهمة»، عبد الكبير خطيبي، المرجع السابق، ص72.

***- مسيرتها الروائية طويلة وغنية بتيماتها وتقنياتها وشخصياتها النسائية، فاتحتها"العطش" سنة 1947، تلتها نافذو الصبر" سنة 1958 و"أطفال العالم الجديد" سنة 1962، و"القبرات الساذجة" و"الحب"... الفانتازيا" و"الظل السلطاني" و"بعيدا عن المدينة" التي استقطبت أنظار النقاد داخليا وخارجيا وبذلك تساهم آسيا جبار في تأسيس سرد نسائي له جماليته وفضاؤه في النسق الإبداعي الجزائري.

2- عبد الكبير الخطيبي، في الكتابة والتجربة، ص74.

3 -Assia Djebar : Les enfants du nouveau monde, col.10-18, Paris, 1962, p.98.

4 - voir : Ibid., p.99.

5 -voir : Ibid., p.198.

6 - Charles Bonn : Le roman algérien de langue française, Presse Universitaire de Montréal- L'harmatan, Montréal-Paris, 1985, p.291.

7- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، نشأته وتطوره وقضاياه، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 2007، ص395.

8- ينظر: المرجع نفسه، ص395.

9 - Christiane Achour : Anthologie de la littérature algérienne d'expression française, p.235.

10 -Les enfants du nouveau monde, p.54.

11 - Ibid., p.27.

12 - Ibid., p.35.

13 -Ibid., p.138.

14 -Ibid., p.139.

15 -Ibid., p.139.

16 -Christiane Achour et autres: Diwan d'inquiétude et d'espoir, la littérature algérienne féminine de langue française, éd. ENAG, Alger, 1991, p.58..

17 - Les enfants du nouveau monde, p.159.

18- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص403.

19 - Les enfants du nouveau monde, p.95-96.

****- وكانت تلجأ سليمة أيضا إلى الآيات القرآنية التي حفظتها في صغرها" كنوع من حماية الذات واسترجاع هدوء النفس"

20 - Les enfants du nouveau monde, p.181.

21- ينظر: أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص405.

22 -voir : Les enfants du nouveau monde, p.128.

23 -Ibid., p.127.

24 -Ibid., p.125.

25 -Ibid., p.127.

26- ينظر: أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص410.

*****- والمثاقفة في معناها الواسع هي التفاعل الفكري المتكافي والتلاقح المعرفي بين مجموعات بشرية بثقافات مختلفة دون طغيان ثقافة على أخرى، وهي (المثاقفة) صعبة التحقق وكثيرا ما تتحول إلى ازدواجية تمهد لهيمنة الآخر ولتغيير الأنماط الثقافية للمجموعة المسيطرة وإلحاق الضرر بمقومات هويتها.

******- وقد وظف كتّاب الرواية باللغة الفرنسية شخصيات مثقفة عانت التمزق والقلق والضياع من جرّاء السياسة الأستعمارية على نحو ما نجده في كتابات جميلة دباش ومولود فرعون ومولود معمري ومالك حداد وغيرهم.

27 -Christiane Achour :Diwan d'inquiétude et d'espoir, p58.

28 -Les enfants du nouveau monde, p232.

29 - Ibid, p235.

30- نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربية، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1982، ص7

31- سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1967، ص214،215.